شعر أبي سعد المخزومي- دراسة موضوعية نقدية

د.إبراهيم حسن صالح

د.بشار سعدي إسماعيل

جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

The Poetry of Abu Saad AL-Makhzoumi-A objective critical study

Dr.Ibrahim Saleh Hassan

Dr.Bashar Saadi lsmail

الملخص

يعد أبو سعد المخزومي من الشخصيات الأدبية التي ظهرت في العصر العباسي و قد استعمل بعض فنون الشعر العربي التي ظهرت في قصائده الشعريه , فقد نالت أعجاب القدماء , مما أشاروا الى سيرته الذاتيه التي توزعت في امهات كتب الادب العربي على الرغم من فقدان بعض القضايا التي تخص هذا الشاعر,الا ان المهم في ذلك وجود كشاعر له قيمته الادبيه في تلك الحقبه الزمنيه , وذلك على اساس الشعر الذي أتسم به , فقد لازم الخلفاء الذين اهتموا بالشعر العربي مما اصبح لديه الدافع السياسي في الابداع بشكل واضح

Summary

Abu Saad Al-Makhzoumi is considered one of the literary figures that appeared in the Abbasid era or had used some arts Arabic poetry that appeared in his poetry, it won the admiration of the ancients, which indicated his personal career Which was distributed in the most important books of Arabic literature despite the loss of some issues pertaining to this poet, but What is important in this is the presence of a poet who has literary value in that period of time, on the basis of the poetry that characterized him With it, he was attached to the caliphs who paid attention to Arabic poetry, which became clearly the political motivation for creativity

توطئة

يبدو أن المراجع لم تذكر الا الشي اليسير من حياة ذلك الاديب الذي ظهر في العصر العباسي الاول ,أذ تحدث عنه بعض النقاد القدامى ,وأن كان يسيرا الا أنه عد بمثابة الشعراء الذين تركوا أثرا بارزا في الساحة الأدبية في ذلك العصر ,ومما لا خلاف فيه أن جهوده في الشعر بدت واضحه للقراء لاسيما أنه أجاد في مختلف الاغراض الشعرية على الرغم انها متفاوتة نسبيا ,فقد ظهر اسلوب الشاعر واضحا في تلك الابيات الشعرية الذي دل على مقدرته الشعرية في كيفية اختيار الالفاظ التي تتوافق مع الغرض الشعري ومما تقدم فأن هذا الشاعر ظهر ظهورا واضحا في تلك الحقبة الزمنية على اساس وجود النتاج الادبي الذي عبر عنه وعكس شخصيته . وان وجود الكتاب الوحيد الذي بين فيه المحقق ما يخص شخصيته (أبو سعد المخزومي) من خلال سرد تلك الاخبار والاحداث التي توالت في الحديث عنه وتقصي كلما يرد عنه من شعر سواءا أكان في الهجاء أم في الوصف أم في الرثاء, ونلاحظ أنه قد وقف عند بعض الاغراض الشعرية وزاد اهتمامه فيها , والدليل في ذلك كثرة النص الشعري في غرض دون ألاخر , والذي نقل الينا عن طريق رواة الشعر, والأدباء القدامى الذين أجادوا في ذلك الامر أيما أجاده , أما اذا جرت مقارنه مع الشعراء الذين وجدوا في عصره لايتساوى نتاجه الادبي مع ماهو موجود من شعر لدى الشعراء الباقين الذين وجدوا في عصره , الا انه قد تميز في وجود اللغة الشعرية التي أمتلكها فضلا عند الأستهلال الامثل في قصائده , مع الاخذ بنظر الاعتبار للاختيار الصحيح في المفردات الادبية التي توزعت في ثنايا قصائده الشعرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الانبياء والمرسلين محمد وعلى اله وصحبه أجمعين , ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد...ان هذه الدراسة التي تضمنت البحث عن شخصيه أدبيه في العصر العباسي لطالما ورد ذكره ,اذ لم يتناول أحد من الباحثين شخصيته, ونتاجه الادبي الذي أتسم بالتباين من غرض الى أخر , ودراستها على وفق المنهجية التي تحمل طابعها الموضوعي شأنها شأن الدراسات الأدبية الاخرى لاسيما في جانب الشعر العباسي الذي حمل في طياته الكثير من الجوانب الفنية والموضوعية ,ومن أهم الاسباب في اختيار هذا الموضوع هو دراسة النتاج الادبي , وما تميز به الشاعر من قدرة عالية في شعره , الذي تضمن مختلف الموضوعات الشعرية ,فقد تضمن البحث السيرة الذاتية للشاعر, وبين مجموعه من المحاور الأساسية التي تعد الجزء الاساس في صلب دراستنا , والتي تمثلت بأهم المحاور ومنها : الاول (ضمن الهجاء) والثاني (الوصف) أما الثالث فقد تضمن (الفخر), أما الاخير ففيه (الرثاء) وهو يعد أقل المحاور في نسبة الابيات الشعرية, وانتهى بنا المطاف الى الخاتمة , وقائمة الهوامش وكذلك قائمة بالمصادر والمراجع . من المشاكل التي واجهتنا اثناء كتابه البحث قلة النصوص الشعريه التي لاحظناها في شعره , فهنالك نصوص شعريه في بعض الاغراض الشعريه ارتفعت نسبتها بينما وجدناها في الاغراض الشعريه الاخرى بنسبة أقل فهناك تفاوت في اعدادها, وهذا يعد على وفق عامل البيئه التي أحاطت بالشاعر ومن ثم قدرته في التفنن في الابيات الشعريه بغض النظر عن بعضها التي نسبت الى بعض الشعراء الاخر بين الذين عاصروه في تلك الحقبه الزمنيه من العصر العباسي . ويعد ابو سعد المخزومي من الشعراء الذين لم يأخذوا مكانهم في الساحة الأدبية وكذلك بسبب قلة الدارسين لتلك الشخصيه , اذ نجد أنه قد ترك ارثه الشعري في العصر العباسي , وهذا الشاعر وان كان مقلا الا ان شعره قد أتسم بالجزاله والاختيار الامثال للألفاظ

بدقه وعنايه, فجاء شعره حاويا لبعض الموضوعات الشعريه التي ذكرناها فيما سبق,ومن هذا المنطلق جاء بحثنا لدراسة هذه الموضوعات والوقوف عليها,وتوضيحها بما يتلائم مع كل فن من هذه الفنون في العصر العباسي .

التمهيد(السيرة الذاتية)اسمه: هو عيسى بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هاشم بن المغيرة المخزومي <١> وأنه قد فخر بهذا النسب القرشي بقوله: اني امرؤ من قريش في أرومتها:

لا يستطيع لي ألاعداء تكذيبا

ومما تقدم من كلام فأن في فخره هذا يرد ماكان يهتم به من انتحال هذا النسب , وتشير الروايات بأن خصمه الشاعر دعبل ينفيه ويلقبه بالدعي<٢> وهنالك شاعر غيره يسميه دعي بن مخزوم <٣> ومما ورد ذكره من كلام حول شخصيه هذا الشاعر الذي نحن في صدره أن المراجع لم تذكر الا الموجز من كلام من ترجمته والقلة من اخباره وشعره ,وممن ترجم له ابن المعتز ٢٩٦هـ في طبقاته, وغيره من العلماء الاخرين , في حين نجد بأن جزءاً يسيراً من أخباره وأشعاره قد بدت متناثرة في بعض المراجع منها كتابي (البيان والتبيين) و (الحيوان) للجاحظ ٢٥٥هـ , و(عيون الاخبار) لابن قتيبه ٢٧٦هـ وكذلك الامالي للقالي ٣٥٦هـ و(الفهرست) لابن النديم ٣٨٥هـ , وغيرهم.

الكنيه: إن الشاعر معروف من خلال كنيته لكن المراجع تختلف في هذه الكنيه , فيذكر بعضها أنه (أنه ابو سعد) ويذكر بعضها الاخر أنه يسمى ب(أبي سعيد)<٤> ومما الاختلاف فيه أن اول من وقف على هذا الاختلاف , وذكر الكنيه الصحيحه النويري بقوله :(والصحيح أنه أبو سعد لا سعيد) ومما يؤيد الصواب في كنية الشاعر ورودها في أبيات للشعراء دعبل الخزاعي, وابن أبي الشيص الخزاعي وأبي البرق , قبلت في هجاء الشاعر أبي سعد المخزومي<٦> , وخلاصة الحديث إن كنية(أبو سعد) أقرب للصواب من (ابي سعيد) لكي يستقيم الكلام من خلال ماهو موجود ومن وزن وأيقاع في الابيات الشعريه.

المعركة الأدبيه بين الشاعرين

جرى الحوار فيما بين أبي سعد المخزومي, ودعبل الخزاعي في تلك الحقبه الزمنيه,أذ التقى كلاهما في مجلس المطلب بن عبدالله بن مالك الخزاعي <٧> ومما تشير الروايات أن أبا سعد قد قال بيتين من الشعر بحق الشاعر دعبل , إذ رد عليه على البديهة بأبيات شعريه لاتقل عنها, وبعد ذلك خرج من المجلس فأنتشرت تلك الابيات الشعريه من السنه الصبيان , فكانوا أذا رأو (أبا سعد) رددوها امامه بطريقه غير لائقه ,وتؤكد الروايه بأن ضيق أبي سعد بهؤلاء الصبيان بلغ من الشده أنه حمله على الذهاب من بغداد الى الري , حيث أقام هنالك ألى أن مات على وفق ماتذكره تلك الرواية <٨> ومما تقدم من كلام حول هذه القضيه , فأنهما قد بينا هذه النصوص الشعريه التي جرت بينهما في تلك الحقبه الزمنيه, إذ جرى الهجاء وأشتد , وتشير القصيده الداليه لأبي سعد في هجاء دعبل , فبدأها بقوله: لم يبق لي لذةُ من طيبةٍ بددِ ولا المنازل من ضيف ولا سندِ ونهايتها بقولهِ : لله معتصم بالله طاعته...قضية من قضايا الواحد الصمد وبعد ذلك استمر في هجاء بعضهما حتى أيام المعتصم بالله الذي ولي الخلافة سنة ٢١٨هـ,وتوفي سنة ٢٢٧هـ <٩> أما الحديث عما وجدناه من شعر كليهما , فأنهما قد تبادلا شعر الهجاء بقصائد مختلفة, فقد قال الشاعر (دعبل) اثنين منها , بينما قال أبو سعد بقيمتها , ونلحظ أن قصيدتا دعبل في العصبية القبلية , والسياسه, والمناضرة العدنانية, والقحطانية, ففي الاولى قال:<١٠>منازل الحي من غمدان فالنضد... فمأدب فظفار الملك فالجند أفصحت المفردات الأدبية التي بينها الشاعر في أعلاه عن امكانيتهِ في الاستهلال الامثل , فضلاً عن قدرتهِ اللغويه في الهجاء . وقال أيضاً<١١> :أتانا طالباً وعراً ... فأعقبناه بالوعرِ وبخلاف ذلك فأن أبي سعد المخزومي قد قال قصيدتان مطلع الاولى :لم يبق لي لذة من طربة بددِّ... ولا المنازل من ضيق ولا سند أما البيتان اللذان وصلا ألينا من الثانيه فهما<١٢>:وبالكرخ هوى أبقى ... على الدهر من الدهر هوىً والحمد لله... كفاني كلفة العذر ونجد بأن القصيدتين اللتين تكملان قصائد أبي سعد , والتي أشرنا اليها, هما قصيدة سينيه أولها <١٣>:ليس لبس الطيالس ... من لباس الفوارس وما قاله في قصيدةٍ لامية أولها <١٤>:صدق الآجال آجال... والهوى للمرء قتال ومما تقدم فأن الهجاء الذي جرى فيما بينهما قد أستمر حقبه زمنيه, وانهما قد استعملا في هذا الغرض الشعري مختلف المفردات الادبيه , والتي أشار اليها القدماء من الذين استوقفتهم كلمات الشاعرين في تلك الحادثه ,والتي ظهرت فيها بعض الالفاظ التي لانود ذكرها في هذا البحث , ولكن أكتفينا بالقسم الاخر من اجل الوقوف على قضيه ادبيه لاغير .

شجاعته: فقد أشار احد النقاد القدماء في حق الشاعر , وهو إبن قتيبه ٢٧٦هـ يقوله : (كان شجاعاً)اما الحديث عن جبنه , فقد ذكر ذلك إبن المعتز ٢٩٦هـ في طبقاته, فأشار الى ذلك قائلاً :(وحدثني أبو جعفر) قال كان أبو سعد يأخذ نفسه بالآت الاشراف وكان دعباً , وبآلات

الشجعان وكان جباناً , وربما جلس على زرد)<١٦> ومما أشار اليه العلماء أو النقاد القدماء حول شخصيتة الشاعر , ومايتعلق بصفه من صفاته , فهنالك تساؤل هل هذا الكلام ينطبق عليه أم لا ولكن هي وجهة نظر لكن الذي تقف عليه هو الجهد الادبي الذي تركه الشاعر وماتحدث به العلماء حول النتاج الادبي في مختلف فنون الشعر العربي .

وفاته : اشارت الروايات انه توفي في مدينة الري, إذ لم تذكر المراجع القديمه سنة وفاته , ولكن بين ذلك الزركلي في كتابه.< ١٧>

المبحث الاول : الهجاء

يعد الهجاء من الفنون الشعريه الذي اخذ الحيز الكبير في شعر العصر العباسي , اذ وجدنا الهجاء قد تصدر تلك الفنون فهو يعد من الموضوعات التي انتشرت في العصر العباسي فقد حملت المعاني التي تشير الى التصويف والتحقير والتصغير وما الى ذلك من المسميات على وفق المنهج الذي حمل المعنى الخاص بهذا الفن الشعري<١٨ وقد شكل الهجاء اعلى نسبة في شعره دلاله على كثرة استعماله من قبل الشاعر ,فقد وجد هذا الفن في العديد من الموضوعات الشعرية, وتضمن العديد من المواقف التي تحمل المعاني الساخره والتي وجدناها عند الكثير من الشعراء في العصر العباسي <١٩>وان حجم الهجاء في العصر العباسي كبير , وقد تنوعت موضوعاته واختلفت اتجاهاته وبطبيعة الحال فأن الكثير منه كان شخصياً يدفعه الحقد والغضب والحسد والانتقام <٢٠> لقد افتتح الشاعر الابيات الشعريه التي تتضمن الغرض الشعري الهجاء الذي طغى على اكثر الاغراض الاخرى, اذ سيطر على اغلب مواضيع ديوانه الشعري , فبدأ لافتتاحية الديوان بهِ.

ويحتل الهجاء مكانا واسعا في ديوان الشعر العربي الكبير فقد لانجد شاعراً الاتناول هذا الفن في شعره من قريب او بعيد , ولانجد لاحثاً قديما تحدث في فنون الشعر الاجعل الهجاء في ابرز مكان فيها<٢١>.وان الهجاء لشدة ارتباطه بالنفس كان اسرع الاغراض الشعريه استجابه لهذا التطور , فقد كثر شعرائه,واتسع نطاقه ,وتوطدت موضوعاته السياسية والمذهبية والاجتماعية فأصاب تحولا بيناً عن التهاجي القديم , ولاسيما هجاء العصبيات القبليه بعد ان خفت هذه العصبيات الى حد كبير , متغلغلا في مطاعن خلقيه ونفسيه<٢٢> ويبدوا ان الشاعر قد أتخذ من الهجاء وسيلة تحيط بها نفسه بالرهبه والخوف في عصر مضطرب تصطرع فيه الاهواء, ويعترك الخير والشر طباع ابنائه, وصار المرء لايرد عنه السوء الا لسان حاد ,أو منصب خطير أو مال وفير <٢٣> أتى الشاعر بالابيات الشعريه التي بين فيها الحوار الذي يريده فكان هجاؤه واضحا من خلال الالفاظ التي لاحظناها على اساس الافتتاحية التي وجدها تتناسب مع بنية النص الشعري ,إذ اختار بعض الالفاظ التي تناسبت مع الغرض الشعري,فقدم الالفاظ التي تتلائم مع هذا المفهوم الذي يتضمن الهجاء وبصيغة المفرد, إذ انتقى الالفاظ بطريه تتناسب مع الجو العام للقصيدة, فقد أخذ بنظر الاعتبار قضية الانتقاص من شخصيات الاخرى على اساس توظيف المفردات في هذا الغرض الشعري. وقال في موضع اخر<٢٤>:-

وأعجبُ مارأينا أو سمعنا.....هجاءُ قالهُ حيَ لميتِ

وهذا دعبل كلفٌ معنى.....بتسطير الاهاجي في الكميتِ

لقد تضمن حديث الشاعر من خلال الاختيار للفظتين وهي المشاهدة والسمع , والاتيان بلفظة(الهجاء) بسورةٍ واضحة , واكمل الحديث بقوله(وهذا دعبل) وهو يدل على اسم الاشارة الذي يدل على القريب ,وتوجيه الكلام الذي يتضمن معنى الهجاء في حق (الكميت) كما هو في أعلاه وقال الشاعر في الهجاء <٢>:-وسلعة سوءٍ به سلعة.....ظلمت أياه فلم ينتصر اختار الشاعر الالفاظ التي اقتربت من مفاهيم الانتقاص من شي معين كقوله(وسلعة سوء)دلالة على عدم الرضا عنها ثم يأتي بالفاظ اخرى ليكمل معنى البيت بقولهِ(ظلمت أياه), وكذلك اشار الى عدم وجود شيء من الطمأنينة من خلال البيت المذكور انفاً.وقال أيضا<٢٦>:- أضنك أطغاك فنسيتني.....ونفسك والدنيا الدنية ماتنسى حاور الشاعر تلك الشخصية بأستعماله للالفاظ التي أنسجمت مع الشخصية التي أراد من خلالها ان يضع الكلام الذي يتطابق معه لاسيما التي التمسنا فيها الهجاء كقوله (اطغاك), وذلك لما بدر منه من تكبر ثم يعاود الحديث ليذكر تلك الدنيا وما فيها من دناءة, وهذا واضح تعابيره في عجز البيت الشعري وقال في الهجاء <٢٧>:- لم يترك الجودُ في غير عادتهِ.....ولم يشن وعده كذب ولا خلف بين الشاعر الالفاظ التي تدل على نفي الصفة الايجابية لدعبل , اذ لم يصفه الوصف الذي يتلائم معه , فهاجمه بأشد الالفاظ التي وجدها تتناسب مع سياق الحديث المذكور في أعلاه.وقال أيضا:فلا يُلام على اتلافهِ كرماً.....امواله والذي لم يعطهِ تلفُحفظ المروءة يؤذي قلب صاحبها.....والحب مغرى بهِ المستهتر الكلفُ أتصف حديث الشاعر عن المال الخاص لدعبل وعدم توجيهه الوجه الصحيحه ويعاود الحديث عنه بطريقة متقاربة نسبيا مع الاتيان بالفاظ اشد قسوة في حق المهجو , كقوله(المستهتر) وقال أيضا<٢٨>:-

عدو راح في ثوبي صديق.....شريك في الصبوح وفي الغبوقِ

لهُ نظر الشفيق بمقتليه.....وليس وراءه نظرَ الشفيقِ

يسرك معلناً ويسوء سراً.....كذلك يكون ابناء الطريقِ اتسمت الفاظ الشاعر كل مايتعلق بمحاور الهجاء تجاه المهجو اذ حددهُ بلفظ (عدو) بصفة صديق ثم قوله(شريك)فعمل تجانسا في بعض الالفاظ فتارة يؤكد على قوله بلفظة (الشفيق) وتارة ينفي بوضعه(ليس),اذ هنالك تباين في الالفاظ ثم انتقل بعد ذلك بوصف ملامح وجهه بقوله (له وجهان) فمرة يرفع من شأنه واخرى في الحضيض .وقال في موضع أخر<٢٩>:-يقول لي دعبل في بطنهِ حبلٌ.....ولو أصابت ثيابي دعبلاً حبلاُودعبل رجل ماشئت من رجل.....لو كان اسفلهُ من خلفهِ رجلاُ

استمر في الانتقاص من خصمه مبينا كل لفضه غير لائقه من خلال القول (في بطنه حبل)وهذا يوحي الى النيل منه في أشد الالفاظ ,وهو قد كرر اسم المهجو في أكثر من موضع كقوله(ودعبل رجل)و(من رجل) فهو في هذا لايريد رفع من شأنه , ثم عاد في الحديث عنه في قوله(لو كان أسفله) , ثم قال (من خلفه رجالاُ) فهذا يدل على عدم حبه لتلك الشخصية بل الوقوع به في أي قضية من القضايا.ومما تقدم فأن الهداء يعد من الموضوعات الشعرية الاساسية عند الشاعر نضرا لما افصح به عن تلك الالفاظ التي تواردت في نصوصه الشعري والتي جاءت بالشكل الاكثر وضوحاً , فقد استعمل مختلف المفردات الادبية التي تناسبت مع الجو العام للنص الشعري فظهرت العبارات اشد قسوة نضراً لما جرى من هجاء مع احد الشعراء الذي قسى عليه في ذلك الغرض الشعري .

المبحث الثاني : الوصف

ان الشعر العربي زاخر بأوصاف كثيره منتزعة من البيئة ابتداءاً من عصر ماقبل الاسلام, وقد تضمن قول رشيد القيرواني ت٣٥٦هـ في (الشعر الا أقله راجع الى باب الوصف , ولاسبيل الا حصره واستقصائه <٣٠> ففي مجال الوصف , فقد أخذ الشعراء البعد الواسع في هذا الفن اذ تضمنت نتاجاتهم الشعرية كلما يتعلق بالوصف سواءاُ وصف المدن او البساتين او وصف الشخصيات التي عاصروها من خليفة او ملك او قائد. اذ قام الشعراء بوصف مظاهر القصور وقد أبدع في ذلك الشاعر العباسي , والذي لقب بشاعر سامراء الاكبرالا هو (البحتري)اذ احسن الوصف في تلك الحقبه الزمنيه لاسيما ماوجدناه في ديوان الشاعر ,فضلا عن الكتب الاخرى التي تحدث اصحابها عن الموضوعات نفسها . إن فن الوصف فيه الكثير من الصور العديده لاسيما عند بعض المصادر مثل كتاب التشبيهات لابن ابي عون الكاتب , والتحف والهدايا للخالدين , وديوان المعاني لأبي هلال العسكري<٣١> وقال <٣٢>:-والورود فيه كأنما اوراقهُ.....نزعت وردٌ مكانهن خدودُ اعتمد الشاعر في حديثه عن مجموعة من الالفاظ , وذلك في الحديث عن وصف دقيق تماشى مع مفهوم واضح لاسيما عند أختياره , ومفردات تضمنت (الورود) مبيناً التشبيه كقولهِ(كأنما), وهو يشبه الاوراق بشي اخر, وكذلك تقريب الصوره من وجه الانسان كما هو واضح في قول الشاعر وقال في موضع اخر الكلب والشاعر في حالةٍ.....ياليت أني لم اكن شاعراُ

هل هو الا باسط كفهِ.....ليستطيع الوارد والصادرا

انتقى الشاعر مجموعة المفردات الادبية التي أشار فيها إلى الوصف لاسيما عند اختياره كلمة (الكلب) واتى بكلمة اخرى وهي (الشاعر). اذدمجها في موضع واحد فهو دليل على وصفه لشخصية الشاعر في هذا الموضع , وهذا قد اضاف اليه البيت الثاني في قوله (هل) أي فيه الاستفهام ,وقد اعتمد في ذلك النص الشعري على مبدأ المساواة مع ذلك الكائن الا وهو الكلب. ثم اشار الى لفظتين متباينتين وهما (الوارد)و(الصادرا) ومما قاله الشاعر في موضع اخر <٣٤>ولست بنظار الى جانب الغنى.....إذا كانت العلياء في جانب الفقرِ واني لصبار على ماينوبني.....لأني رأيت الله أثنى على الصبرِاتجه الشاعر الى قضية أصبحت محط اهتمامهِ الاوهي الغنى والفقر ,ومايترتب عليها من اثار في حياة الانسان إذ عرف كيف كليهما في موضع واحد,وهذا يعطي اشاره واضحه الى الفلسفه التي اعتمدها الشاعر في الفاظهِ وما قاله في موضع اخر :-اشرب على الخيري والريق.....فنحن في بعدٍ عن السوقِ لا ترجون الخبز في بيتنا.....مالك الا النفخ في البوقِ اجاد الشاعر في الحديث عن نفسهِ, وكيفية وصف السوق في مسافةِ , فهو ينقل للمقابل عدم وجود(الخبز)فأنتقى الالفاظ التي تتماشى مع وصفهِ للقصد الموجود في بيته.وقال في موضع أخر:-إذا كنت في بلدةٍ نازلاُ.....وحل الشتاء وحلول المقيم فلا تبرزن الى أن ترى.....من الصحو يوماُ صحيح الاديم فكم زلقةٍ في حواشي الطريق.....ترد الثياب بخزي عظيم وكم من لئيم غداُ راكباُ.....يحب البلاد لماشٍ كريم بدأ كلام الشاعر بالحديث عن وصفٍ دقيق لما يمر بهِ الانسان اثناء وجوده في مكان معين , وذلك بالإشارة الى لفظة(بلده) , والتأكيد على وجود الشتاء , وهذا دليل على وصفهِ الواقعي في البيت الثاني ,إذ اراد الجذر في كل شيء فجاءت بعض الالفاظ بشكلٍ متوازن مثل (الصحو)و (الصحيح) واستمر في عباراته المتسلسله الى ان قال (وكم من لئيم)فهو وصف دقيق لصفة الانسان التي يتصف بها البخلاء .ومما قاله الشاعر :-اشيب ولم أقضى الشباب حقوقهُ.....ولم يمضى من عهد الشباب قديمُ تفاريق شيب في السواد لوامعُ..... وماخير ليل ليس فيه

نجومً أفصح الشاعر عن مفردات أدبيه تباينت مابين الشيب والشباب , والحديث عن الزمن الماضي , فقد وظفها بشكل يتلائم مع فكرة الموضوع , فجاء تعبيره بلغةٍ شعرية واضحة المعالم , وقام بأختيار مفردات قريبة من مفردة الليل , وهذا دليل على قدرة الشاعر في المزاوجة مابين العبارات في النص الشعري الواحد.وخلاصة ما ذكرناه الوصف فانه بمثابة الوصف الدقيق لتلك القضايا التي وقف عليها من اجل توضيح الصورة الشعرية في نظره , اذ استعمل لغته الشعرية الواضحة المعالم لكي يتسنى له الدقة العالية في وصف أي ظاهرة يجدها قريبة منه في ذلك العصر .

المبحث الثالث :الفخر

يعد الفخر من الوان الشعر العربي في العصر العباسي فقد ظل نشطاً في هذا العصر وقد ضعف الفخر القبلي من العصر الماضي وظل ضعيفا في هذا العصر لضعف الشعور بالعصبية القبلية وان كنا نجد هذا الشعور من حينٍ الى حين اخر ولكنه على كل حال كان شعوراً خافتاً ونجده احيانا قد جاء على لسان الشعراء في العصر العباسي اذ اعتمدوا على اللغة الشعرية الخاصة لكل شاعر فقاموا بتوظيف الالفاظ بشيءٍ جديد لاسيما الفخر بموضوعات عديده مثل الفخر بالأنساب او القبائل او الشخصيات التي تتعلق بالخلافة او القيادة في ذلك العصر ومما تشير الروايات الى ان البحتري قد افتخر بطيء قبيلته <٣٨>. وقال الشاعر<٣٩>:-وظهور الجياد غير.....ظهور الطنافس اتسم قول الشاعر بالالفاظ التي تميزت بالفخامة , وذلك لانها اوحت الى موضوع الفخر,اذ اختار الشاعرمجموعة الالفاظ التي جمع فيها بعض المحاور التي دلت على وجود الالفاظ التي تتعلق بالفخر. وقال ايضا <٤٠>:ليس من مارس الحروب.....كمن لهم يمارسهذا دليل قطعي على تأكيده حول الشجاعة الحقيقية التي يتمتع بها الفارس وقت القتال. وقال في الموضوع نفسه<٤١> نحن خير الانام عند قياس المقايس توجه الشاعر في هذا الخطاب الذي أتسم بفصاحة الالفاظ , وفي قوله (نحن) دليل على الخطاب الجماعي,والاعتزاز بالشجاعة التي تميزهم عن غيرهم. وقال الشاعر<٤٢>:-اني امرؤ من قريش في أرومتها.....لايستطيع لي الاعداء تكذيبا ويبدو ان الفخر جاء على اساس تمكن الشاعر من مجاراة فخامة الالفاظ التي وجدها واضحة , من اجل اعتزاز لكل ما يراه مفهوماً في الحديث عنه , اذ نجده قد حدد الاتجاه الامثل في كيفية تأليف النصوص الشعرية التي تماشت مع هذا الفن الشعري .

المبحث الرابع :الرثاء

يعد الرثاء من الموضوعات القريبة الى النفس , وهو يشكل ديوانا كبيرا في أدبنا العربي, وكان للشعراء العباسيين نصيب وافر فيه , اذ نجدهم قد رثوا خلفائهم وولاتهم ووزرائهم وقوادهم فقاموا برثاء مدنهم التي نزلت بها الكوارث ورثوا حيواناتهم المستأنسة , وطيورهم الصادحة , وانهم جادوا بدموع غزيره على كل شي عزيز عندهم وأثير لديهم بمقطوعاتٍ وقصائد مستقلة قائمة بذاتها <٤٣>ولقد حظي الخلفاء بقسط من شعر الرثاء , واول خليفة بكاه الشعراء هو ابو العباس السفاح , وكان ابو دُلامه نديمة المحبوب لذلك كثر نحيبه عليه , وأبنه بقصائد كثيرة, اثنى على سياسته واخلاقه وصفاته ومما مورد من الشعر في ذلك قول الشاعر <٤٤>تبين أيها الناعي المشيدُ.....احقا انه أودى يزيدُالم تعجب له أن المنايا.....فتكن بهِ وهن له جنودُ لقد افتتح الشاعر هذه الابيات الشعرية على اساس وجود الحزن والالم في تلك الابيات التي انسجمت مع موضوع الرثاء, ومن المفردات التي ذكرها في قوله (الناعي) , فكان في سياق البيت الاول جملة أستفهامية, وانتقل الى البيت يشير الى قضية الموت بذكر (المنايا) , اذا اتت بصيغة الجمع , فيؤكد على عدم رجعة الايام في الزمن الماضي ليعطي صورة واضحة للمتلقي عن الواقع المؤلم . فتكن بهِ وكن يحدث عنه.....إذا ما الحرب شب لها وقودُلقد عزى ربيعة أن يوما.....عليها مثل يومك لايعودُوهنا وقفة وتأمل من قبل صاحب النص الشعري في حديثه عن الاثار التي تركها الحرب , وقد انتقل الى فئه من الناس بقوله (ربيعة)والحديث واضح من خلال الوقوف على ما ينتج من الحرب من اثار, والتفت الى الزمن بقوله(يوما)و(يومك)ومما ذكر سلفاً فأن الرثاء على الرغم من قلة الابيات الشعرية فيه الا انه افصح عن وجود اثاره في نفسية الشاعر نظراً لما جاء به من شعر غلب عليه طابع الحزن والالم الشديدين , وما بينه من آثار الحرب الدامية التي لا تترك شيئاً , فعبر عن ذلك بشعر اتسم بالجدية الواضحة في تصوير حالة الحزن في نصوصه الشعرية .

الاراء النقدية

على الرغم ما في ايدينا من احكام, واراء نقدية قيلت بحق الشاعر ابي سعد المخزومي , غير أن قراءة تلك الاحكم تشير صراحة الى اننا امام شاعر كبير من شعراء العصر العباسي الذين عرفوا عنهم اجادتهم وتفوقهم متقاربة نسبيا مع الاتيان بالفاظ اشد قسوة في حق المهجوين , كقوله(المستهتر) في تناول موضوعات الشعر العربي المختلفة , لاسيما تناوله لموضوع الهجاء الذي برع به إذ تشير المصادر الى تلك المعارك الكلامية التي خاضها الشاعر مع كبار شعراء عصره ولاسيما مع الشاعر العباسي المشهور دعبل الخزاعي , وغيره من شعراء ذلك

العصر <٤٥> الذين خصهم بالعديد من القصائد الهجائية , التي بينت قدرة الشاعر وتفوقه في تناول هذا الموضوع الشعري , الذي يعد واحداً من موضوعات الشعر العربي الرئيسية , التي لايكاد يخلو منها ديوان شاعر من شعراء العرب القدامى , على اختلاف عصورهم الادبية, وإذ اجاز لنا ان نعد مثل تلك الروايات والاخبار احكاما نقدية, فأننا نستطيع ان نقول: إن مثل تلك الروايات والاخبار تخفي بين طياتها , وسطورها اعترافاً بقدرة ابي سعد المخزومي الفنيه في تناول مثل هذا الموضوع الكبير والخطير, وقدرته على مجاراة كبار شعراء عصره الذين عرفوا بأجادتهم وقدرتهم على تناول موضوع الهجاء والنبوغ فيه كدعبل الخزاعي وغيره <٤٦>وإذ تركنا هذه الروايات التي تحدثت عن هجائه لمجموعة من شعراء عصره ورحنا نتتبع الاحكام والاراء النقدية التي سجلها النقاد القدامى في كتبهم ومؤلفاتهم عن ابي سعد المخزومي وشاعريته يطالعنا في مقدمة تلك ماسجله ابن المعتز عن ابي سعد وشعره إذ يقول ((إنه كثير الشعر جيده)) <٤٧> ويبدو واضحاً من خلال هذا النص أن ابي المعتز يقيم حكمه على معيارين مهمين في تقييم الشعراء , وانزاله منزلتهم التي يستحقونها وهذان المعياران هما: معيار الكثرة , ومعيار الجودة.

فالكم الشعري عند ابن المعتز يعد معياراً مهما في تقديم شاعر على اخر وحاز ابو سعد المخزومي هذه المكانة المتقدمة عند ابن المعتز كونه شاعراً مكثراً,موالاً, متمكناً من فنه وشعره,ولايقف الامر عند ابن المعتزعلى معيار الكم والكثرة لكي يحكم الشاعر بالمتقدمة, بل لابد ان يكون هذا الكم جامحاً لمعيار اخر هوه معيار الجودة الفنية , بأمتلاك ذاك الكم عناصر الجودة المتمثلة في براعة الشاعر في تناول معانيه الشعرية, وقدرته على صياغة تلك المعاني في اساليب شعرية رائعه قادرة على استيعاب تجاربه الفنية ويبدوا لنا إن ابا سعد المخزومي قد أستأثر باهتمام ابن المعتز الناقد العارف بفنون الشعر وطرائق الشعراء لذلك نجده يدون حكماً نقدياً اخر, لايقل عن سابقه في بيان مكانة ومنزلة ابي سعد المخزومي النقدية والفنية إذ يقول عنه أيضا ((كان من أشهر اهل زمانه, وفصحهم لهجةٍ, واصبحهم واقدرهم على الشعر))<٤٨>

ففي هذا النص نجد اكثر من حكم نقدي تشير كلها الى علو منزلة شاعرنا فهو اشهر اهل زمانه وعصره ولعل ابن المعتز اراد بقوله: انه اشهر اهل زمانه وذلك بالإشارة الى ماعرف عن شاعرنا من تناوله لموضوع الهجاءالذي عرف به وبرع في تناوله ولاسيما في تلك المهاجاة التي كانت بينه وبين دعبل الخزاعي, وغيره التي اشرنا اليه سابقا<٤٩> فضلاً عن كونه شاعراً فصيحاً لم تخالط شعره تلك الالفاظ الاعجمية التي شاع استعمالها عند الكثير من شعراء عصره وذلك بتأثير الثقافات الوافدة على المجتمع العربي في ذلك العصر وأختلاط العرب بغيرهم من الامم الاجنبية<٥٠> والى جانب هذين الحكمين المهمين الذين اصدرهما ابن المعتز بحق شاعرنا نجده يشير في النص نفسه الى حكم نقدي مهم اخر يفصح بشكل جلي وواضح عن مكانة ابي سعد المخزومي وسط شعراء عصره وهو ان شاعرنا من الشعراء المطبوعين الذين اعتادوا قول الشعر ونظمه دون تكلف او تصنع فهو شاعر مطبوع له القدرة على النظم والقول متى ما أريد منه ذلك وفي دليل شاعريتة ابي سعد الفذة وتمكنه من فنه , كما وصف عنده بحسن ألانشاد<٥١> وفي الختام نقول ان هذه الاحكام على قلتها تؤكد بما لايقبل الشك أن ابا سعد المخزومي شاعر كبير مقدم بين شعراء عصره , بل هو من اعلام شعراء عصره , واقدرهم على قول الشعر ونظمه على الاطلاق.

الخاتمة

أظهرت الدراسة التي تضمنت الحديث عن الشاعر أبو سعد المخزومي العديد من النتائج وهي كالاتي:-

- اتسم الشعر بالقلة قياسا الى شعر الشعراء الاخرين الذين وجدوا في العصر العباسي .
- استعمل الشاعر بعض فنون الشعر العربي التي بدت متباينة في شعره الذي روته بعض المصادر الادبيه القديمة.
- وجود نسب متفاوته في الهجاء والفخر والوصف والرثاء والذي غلب على هذهِ الفنون الشعرية هوه الهجاء ومن ثم الوصف وهكذا.
- تميز شعره باللغه الشعرية الواضحة المعالم , فضلاً عن اختياره الدقيق للموضوعات التي لاحظناها في قصائده الشعرية بأنها تحاكي الواقع.

-ظهرت الاراء النقدية من قبل القدماء وذلك بسبب ابياته الشعرية التي نالت اعجاب هؤلاء الادباء لما فيها من حسن اليك , وجزالة في الالفاظ .

الهوامش

١- معجم الشعراء /٢٦٠

٢- سمط اللالئي جـ ٥٧٨/١

٣- البيان والتبيين جـ ١٤٧/٣

٤- تاريخ الرسل والملوك جـ /١١٤٨,وينظر العقد الفريد جـ ٦ /١٤٣

٥- نهاية الادب – النويري جـ ٣ /٩١

٦- عيون الاخبار جـ ١/ ٢٠١

٧- الاعلام – الزركلي جـ ٨ / ١٥٧

٨- طبقات الشعراء / ٢٤٧ – ٢٩٦

٩- شعر ابي سعد المخزومي/ ١٢

١٠- الاغاني جـ ٢٠/ ٣٣٣

١١-الاغاني جـ ٢٠ / ١٨٠

١٢- م:ن جـ ٢٠ / ١٨٠

١٣- لباب الاداب/ ١٨٧ , وينظر الاعجاز والايجاز وينظر التمثيل والمحاضرة الثعالبي /٨٩ /١٦٧

١٤- بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغه_ عبد المتعال جـ ٤/ ٦٤٠ وينظر الايضاح في علوم البلاغة _القزويني

١٥- عيون الاخبار _ ابن قتيبه جـ٢/ ١٩٠

١٦- طبقات الشعراء _ ابن المعتز/٢٩٧-٢٨٩

١٧- الاعلام _الزركلي جـ ٥ / ٢٨٦

١٨- ينظر تاريخ الادب العباسي د.شوقي ضيف / ٢١١

١٩- ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي / ٢١٤

٢٠- ينظر الادب العربي في العصر العباسي د. ناظم رشيد / ٣٠

٢١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري _ قحطان رشيد التميمي/ ١٥

٢٢- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني _ محمود مصطفى هداره/ ٤٢١

٢٣- ينظر المصدر السابق / ٣٣

٢٤- الاغاني جـ ٢٠/ ١٣٥

٢٥- الاغاني ٢٠/ ١٨٩

٢٦- طبقات ابن المعتز جـ ١ / ٢٩٦

٢٧- الابانة / ١٢٦

٢٨- الاغاني جـ ٢٠ / ١٨٦

٢٩- الاغاني ٢٠ / ٣٢٩

٣٠- العمدة في محاسن الشعر ونقده _ القيرواني جـ ٢ / ٢٥٢

٣١- ينظر الادب العباسي و د. ناظم رشيد / ٥١

٣٢- الوساطة / ١٨٨

٣٤- طبقات الشعراء / ٢٩٣_٢٩٤

٣٥- محاظرات الادباء جـ ١ / ٣٠٧

٣٦- حماسة ابن الشجري / ٢٤٤

٣٧- نهاية الارب جـ ١ / ١٧٨

٣٨- ينظر تاريخ الادب العربي _ العصر العباسي الثاني_ د. شوقي ضيف

٣٩- لباب الاداب _ النيسابوري / ١٨٧

٤٠- الاغاني جـ ٢٠ /١٨١

٤١- نهاية الارب _ النويري جـ ٣ / ٩١

٤٢- ينظر الادب العربي في العصر العباسي وناظم رشيد /٣٤

٤٣- م : ن / ٣٤

٤٤- م : ن / ٣٠

٤٥- ينظر الاغاني جـ ٢ / ١٣١ وما بعدها

٤٦- ينظر م : ن والصفحة نفسها

٤٧- طبقات الشعراء / ٢٩٧

٤٨- م : ن / ٤٤٣

٤٩- ينظر الاغاني ٢٠ / ١٣١ ومابعدها

٥٠- ينظر العصر العباسي الاول / ٩٣ وما بعدها

٥١- البديع / ١٦

المصادر

١- طبقات الشعراء _ ابن المعتز_ (ا- العارف_ مصر _ ط ٤ دون تاريخ)

٢- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لابي قاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني تـ ٥٠٢ هـ القاهرة ١٣٢٦هـ

٣- الحماسة , لابي العادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري تـ ٥٤٢ هـ تحقيق كرنكو , حيدر آياور ١٣٤٥هـ

٤- نهاية الارب في فنون الادب , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري تـ ٧٣٣ هـ , القاهرة , دار الكتب المصرية د. ت

٥- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني تـ ٣٥٦ هـ دار الفكر بيروت , ١٩٥٦.

٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الحرجاني _ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي _ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه دون طبعة ١٩٦٦.

٧- الابانة عن سرقات المتنبي لابي سعد محمد بن أحمد العميري ت ٤٣٣ تحقيق ابراهيم الدسوقي _ القاهرة دار المعارف _ ١٩٦١._

٨- التمثيل والمحاضرة لابي منصور عبدالله بن محمد الثعالبي تـ ٤٢٩ هـ تحقيق عبدالفتاح محمد العلو ١٩٦١

٩- البديع لابي العباس عبدالله بن المعتز تـ ٢٩٦ هـ تحقيق اغناطيوس كراتشفوفسكي لندن ١٩٣٥

١٠- سمط اللالي لابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧ هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة ١٩٣٦

١١- تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق م. دي جويه , ليدن ١٨٨١

١٢- عيون الاخبا ر لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠

١٣- العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربة (ت ٣٢٨هـ) تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري القاهرة ١٩٥٢

١٤- الاعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين , بيروت الطبعة ١٧ , ٢٠٠٧ م

١٥- تاريخ الادب العباسي د. شوقي ضيف _ ط١٠_ ١٩٩٦_ دار المعارف

١٦- الفن ومذاهبه في الشعر العربي _ط١٠_ دار المعارف

١٧- الادب العربي في العصر العباسي د.ناظم رشيد _ كلية الاداب_ جامعة الموصل_ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر (١٤١٠هـ -١٩٨٩)

١٨- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري _ قحطان رشيد التميمي _ دار الميرة_ بيروت

١٩- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني _ محمد مصطفى هداره _ دار المعارف _ ١٩٦٣

٢٠- العمدة في محاسن الشعر ونقدة _ القيرواني _ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد _ ط السعادة _ مصر _ ١٩٥٥ _ ٢جـ

٢١- لباب الاداب _النيسابوري _ الناشر_ دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان ط١ ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٧_ تحقيق احمد حسن

٢٢- تاريخ الادب العربي _ العصر العباسي د. شوقي ضيف _ دار المعارف ط ١٠ ١٩٩٦.